(١)
قتل البرآء جريمة كبرى[١]
سواء كان للدنيا أم الدين

● **الخطبة الأولى:**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

شهدتُ فى بعض محطّات التليفزيون فى هذه الأيّام – منذ يومين فقط – مشاهد تركت فى نفسى أثراً عميقا، وعلى الأخصّ مشهدين:

● **القتل لأجل السرقة:**

المشهد الأول: مشهد ثلاثة من الشّبان فى مصر قتلوا امرأة وطفليها الصغيرين، قتلوا المرأة وابنها وابنتها الطفلين الصغيرين.

لماذا قتلوا هؤلاء؟

من أجل مصوغات تلبسها المرأة!!

من أجل هذه الأشياء يقتلون هذه الأنفس البريئة !

هؤلاء الشّبان – وهم فى العشرينيات من العمر.. فى عمر الزهور.. فى ريعان الشباب ومقتبل العمر – كيف طوّعت لهم أنفسهم أن يقتلوا هذه المرأة ولا ذنب لها إلاّ أن يأخذوا ذهبها وحليّها؟ وكيف طوّعت لهم أنفسهم أن يقتلوا الطفلين ﴿ .. **نَفْسا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ**.. ﴾ [الكهف: ٧٤] ؟

أمن أجل قطعة من الذهب يُفعل هذا كلّه؟!

ماذا حدث لأبنائنا؟ ماذا حدث لشبابنا؟ ما الذى حدث؟ ما الذى غيّر هؤلاء؟

ما كانت هذه الأشياء تحدث فى الزمن الماضى إلاّ على ندرة، ومن مجرمين عُتاة. أمّا من شباب فى مُقتبل عمرهم يفعلون هذا، يقتلون بنتاً صغيرة، وابنا صغيراً، ويقتلون امرأة، يخنقونهم إلى الموت، أو يذبحونهم بالسّكين، فما كان يحدث هذا.

---

(١) ألقيت فى جامع عمر بن الخطاب بالدوحة فى نوفمبر ١٩٩٧ م.

OBEIKAN.COM

من أجل الدنيا حدث هذا.

لقد تطوّرت مفاهيم النّاس وتغيرّت قيمهم. أصبح الإنسان لا يبالي بإزهاق الروح وسفك الدم، من أجل قطعة من الذهب أو من الحلي!

وحوش فى لبوس البشر:

هذا يدل على أنّ مجتمعاتنا انحدرت انحداراً كبيرا، وأصبح الإنسان أقرب إلى الحيوان، لا، بل أقرب إلى الوحش. الحيوان لا يؤذي، البقرة لا تقتل، والحمار لا يقتل، هذا شرّ من البقرة والحمار ومن الأنعام، إنّه وحش كاسر.

بل إنّ كثيراً من الوحوش لا تقتل إلاّ إذا جاعت، الأسد لا يأكل الإنسان إلاّ إذا جاع، يقتله من أجل أن يملأ معدته.

فالوحوش أرحم من هؤلاء.. هؤلاء الذين يرتدون ثياب البشر وليس في صدورهم قلوب البشر، نُزعت الرحمة من قلوبهم، فهم أولى أن لا يرحموا من الله عزّ وجلّ، فإنّما يرحم الله من يرحم النّاس: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من في السماء»(١).

ولهذا كتب الله على هؤلاء القصاص، كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى** .. ﴾ [البقرة: ١٧٨] أى فرض عليكم، كما قال: ﴿ .. **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** .. ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ففرضيّة القصاص كفرضيّة الصيام.

والنّاس فى عصرنا فى الحضارة الحديثة يلغون عقوبة الإعدام، ويطالبون المسلمين بأن يلغوا عقوبة الإعدام، يرحمون القاتل ولا يرحمون المقتول وأهل المقتول، يشفقون على المجرم ولا يشفقون على ضحاياه، يزعمون أنّهم أرحم من الله بعباده، وهيهات هيهات.

إنّ الله الذى خلق النّاس هو أعلم بهم، أعلم بما يصلحهم وما يفسدهم، وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها، ولكنّه قرّر القصاص: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٩].

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٦٤٩٤) بلفظ: «ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء» وقال محققو المسند: صحيح لغيره ورواه أبو داود فى الأدب (٤٩٤١) والترمذى فى البر والصلة (١٩٢٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، كلهم عن عبد الله بن عمرو.

حرمة دم المسلم:

هذا هو المشهد الأوّل.

ومثل هذا المشهد يتكرّر كثيراً فيما نقرأه فى الصحف، وفيما نسمعه فى الإذاعات، وفيما نشاهده فى أخبار التلفازات. أحداث هائلة من هذا النّوع الذى تُراق فيه الدماء، من أجل بضعة دولارات، أو جنيهات، أو آلاف، أو حتى ملايين. والله إنّ نفس الإنسان لأعظم عند الله من هذا كلّه، والنّبىّ ﷺ يقول: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق»[1]، زوال الدنيا كلّها.. لأنّ الله هو الذى بنى هذا الإنسان فلا يملك مخلوق أن يهدمه، لا يملك أحد أن ينتزع روحه إلاّ الذى وهبها له، فى الوقت الذى حدّده له.

لا يجوز لإنسان أن يتعدّى على حقّ الله تبارك وتعالى ويقتل الإنسان بغير حق، إلاّ إذا كان إنساناً شرّيراً خرج من إنسانيتّه.

ومنذ فجر البشريّة وُجد الشّر فى حياة النّاس، وُجد الإنسان الخيّر والإنسان الشّرّير.. الإنسان الطيّب والإنسان الخبيث. منذ كانت البشريّة أسرة واحدة.. عائلة واحدة، قتل ابن آدم أخاه، ابن آدم الشّرّير قتل أخاه الطيّب الخيّر، بغير جُرم جناه، بغير ذنب اقترفه، إلاّ أنّهما قرّبا قرباناً إلى الله فتُقبّل من أحدهما ولم يُتقبّل الله من الآخر!

ما ذنبى أنا إذا لم يقبل الله قربانك؟ هنالك قال له حسدا وبغيا: ﴿ ..**لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ* لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٧ – ٢٨]. ومع هذه الموعظة البليغة المؤثّرة لم يرتدع هذا الإنسان الشّرّير: ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾. [المائدة: ٣٠]

سلالة ذلك الشّرّير لا تزال فى عصرنا وفى كلّ عصر، وفى بيئتنا وفى كلّ بيئة، يوجد هذا الإنسان الشّرّير الذى لا يبالى أن يقتل أخاه من أجل أىّ شىء يراه.

---

(١) رواه النسّائي فى تحريم الدم (٧/ ٨٢) والترمذى فى الديات (١٣٩٥) وذكره الألباني فى صحيح الجامع (٥٠٧٨).

ما أكثر الأحداث التى نشاهدها فى عصرنا من قتل، حتى رأينا من يقتل أولاده، ورأينا من يقتل زوجته، ورأينا من تقتل زوجها، ورأينا من يقتل أخاه، ورأينا من يقتل عمّته أو خالته!

كلّ ذلك من أجل دنيا يتهافتون عليها تهافت الذباب على الطعام أو على الجيف، هذه الجيفة التى يسمونها (الدنيا) يتهافت النّاس عليها، ويتقاتلون من أجلها، حتى يقتل الإنسان أقرب النّاس إليه.

هذا هو المشهد الأوّل أيّها الإخوة.. مشهد هؤلاء الشباب الفتية الذين قتلوا المرأة وطفليها من أجل حُليّها.

قتل السياح المستأمنين فى بلادنا:

والمشهد الثانى رأيته أمس فى التليفزيون فى قناة الجزيرة: مشهد الشّابّين الذيْنِ قتلا ثمانية من السّيّاح الألمان ومعهم سائق الحافلة المصرى. وصدر عليهما بالأمس حكم الإعدام من المحكمة العسكريّة العليا.

هذان الشّابّان استقبلا هذا الأمر – حكم الإعدام – بفرح وسرور، وهنّأ أحدهما الآخر، وقالا للصحفييّن – حينما قالوا لهما: ما شعوركما؟ – : هذا يوم عيد!

ثمّ سأل أحد المذيعين الشابّ الأوّل – المخطّط الأوّل للجريمة والذى دفع أخاه إليها وأخذه معه، الصابر أبو العِلا هذا –: ما الذى جعلك تفعل هذا؟ قال: أنا لم أفعل هذا من أجل دنيا، لم أفعل هذا من أجل مال، ولا من أجل نساء، ولا من أجل ذهب ولا فضّة، فعلت هذا لله، فعلت هذا من أجل الدين!

وهذه مصيبة أخرى، لا تقلّ عن مصيبة الذى قتل من أجل الدنيا.

إخلاص مصحوب بحماقة:

إنه لا يكفى أن يكون الإنسان مخلصاً ليكون عمله صحيحا.

هذا قتل لله كما يقول، قتل أناساً برآء لله.. من أجل الله.. من أجل الدين! أناساً جاؤوا بلاد الإسلام مستأمنين، لهم حقّ الأمان وحق العهد، والنبى ﷺ

OBEIKAN.COM

يقول: «من قتل معاهَداً لم يَرِحْ- أو لم يَرَح - رائحة الجنّة، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»[1]. هؤلاء لهم عهد الله وميثاقه، ونحن مأمورون أن نفى بالعهد: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ** .. ﴾ [النحل: ٩١]، ﴿ .. **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٤]، ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٨ ، المعارج: ٣٢].

ما ذنب هؤلاء المدنيين؟

لم يقاتلونا، ولم يحاربونا، حتى نقتلهم.

يقول هذا الشاب: أنا قتلتهم لله، مخلصا، نيّته نيّة خالصة.

حسن النية لا يبرر الأعمال الطائشة:

ولكن لا يكفى أن تكون النيّة خالصة، لابدّ أن يكون العمل مشروعاً، لابدّ أن يشرع الله هذا العمل.

سئل الإمام العالم الزاهد أبو على الفضيل بن عياض عن قول الله تعالى: ﴿ .. **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** .. ﴾ [الملك: ٢]. قيل له: يا أبا على، ما أحسن العمل؟ قال: أحسن العمل أخلصه وأصوبه. إنّ الله لا يقبل العمل إذا كان صواباً ولم يكن خالصا، ولا يقبل العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صوابا. وإنّما يقبله إذا كان خالصا صوابا، وخلوصه أن يكون لله، وصوابه أن يكون على السّنّة. أى على المنهج الشرعى.. على الصراط المستقيم الذى جاء به محمّد ﷺ.

لا يكفى الإخلاص حتى يكون العمل مشروعا.

المبتدعون مخلصون فى ابتداعاتهم، يتقرّبون إلى الله بالبدعة، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول: «كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة فى النّار»[2]. يتقرّبون إلى الله بما لم يشرعه لعباده، شرعوا فى الدين ما لم يأذن به الله. هم مخلصون فى هذه الزيادات وفى الغلوّات فى الدين، ولكن لا يكفى الإخلاص وحده.

---

(١) رواه البخاري فى الجزية والموادعة (٣١٦٦) عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم فى الجمعة (٨٦٧) والنسائى (١٥٧٨) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

OBEIKAN.COM

كثير من هؤلاء آفتهم ليست فى إخلاصهم ولا فى ضمائرهم، إنّما آفتهم فى عقولهم وأفهامهم. الآفة ليست فى النّفوس، وإنّما فى الرؤوس. مشكلة هؤلاء أنّهم لم يفقهوا دينهم.

النبى عليه الصلاة والسلام قال عن أسلافهم من قديم: «يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم» أى لا يتعمّق فى قلوبهم وفى أعماق نفوسهم. الخوارج قديماً كانوا من أعبد النّاس لله، كانوا صُوّاماً قُوّاما، يقوم أحدهم ليله يقرأ القرآن، ولكنّهم كانوا يَدَعُون أهل الأوثان ويقتلون أهل الإسلام، يستحلّون دماء النّاس وأموالهم. ولذلك صحّ فيهم الحديث – كما قال الإمام أحمد – من عشرة أوجه كلّها تذمّهم وتحذّر منهم. يقول الحديث «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وقيامه مع قيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرميّة»(١)!

لهم قراءة، ولهم قيام، ولهم صلاة، ولهم صيام، حتى إنّ الصحابة ليحقر أحدهم عبادته بجانب عبادتهم، ولكنّهم يمرقون من الدين! لماذا؟ لأنّهم استحلّوا دماء المسلمين وأموالهم، حتى إنّهم كفّروا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب فارس الإسلام.. الابن البكر للإسلام.. حكيم الأمّة. كفّروه، واستحلّوا دمه وقتلوه. وقال قائلهم يمدح قاتل علىّ:

ياضربة من تقىّ ما أراد بها ... إلاّ ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنىّ لأذكره يوما فأحسبه ... أوفى البريّة عند الله ميزانا

يعتبر قاتل على أوفى النّاس ميزاناً عند الله! ما أراد بهذه القتلة وبهذه الضربة بالسيف (إلاّ ليبلغ من ذى العرش رضوانا)! أراد بها رضوان الله.

هذه مشكلة.. الذين يقتلون النّاس تدّيناً، ولا يفرّقون بين برىء ومسىء. بعض هذه الجماعات – التى تقتل فى الجزائر وفى غيرها – لا يفرّق بين مدنىّ وعسكرى، لا يفرّق بين مجرم وضحية، لا يفرّق بين كبير وصغير. يقتل الشيوخ والنّساء والأطفال الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

---

(١) رواه البخارى فى المناقب (٣٦١٠) ومسلم فى الزكاة (١٠٦٤) عن أبى سعيد الخدرى.

OBEIKAN.COM

أخلاق الإسلام فى الحرب:

مع أنّ الإسلام فى حربه الرسمية بينه وبين أعدائه المشركين وغيرهم: نهى عن قتل النساء، ونهى عن قتل الشيوخ الكبار، ونهى عن قتل الأطفال الصغار، وجاء ذلك فى أحاديث النبى ﷺ(١). ورأى عليه الصلاة والسلام امرأة مقتولة فى إحدى الغزوات فأنكر ذلك وقال: «ما كانت هذه لتقاتل»(٢).

إنّما نقاتل ونقتل من يقاتلنا، كما قال الله عز وجل: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٠]. روى الإمام ابن جرير الطبرى عن ابن عباس ترجمان القرآن رضى الله عنهما أنّه فسّر (الاعتداء) هنا بقتل النّساء والشيوخ والأطفال(٣).

وهكذا جاءت الأحاديث النبوية تنهى عن ذلك. وجاءت الوصايا الراشديّة من أبى بكر وعمر تنهى عن قتل هولاء. بل جاء عن أبى بكر رضى الله عنه قال: ستجدون رجالاً قد حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له.

نهى عن قتل الرهبان لأنّهم لا يقاتلون.

وكذلك نهى عمر عن قتل الفلاّحين، قال: إنّهم لا ينصبون لكم الحرب فدعوهم وشأنهم.

ولذلك ذهب من ذهب من فقهاء المسلمين بأنّه لا يقتل حرّاثٌ.. زرّاعٌ.

وهكذا كان شأن الصحابة حينما فتحوا البلاد فى العراق وفى الشام وفى مصر: تركوا الفلاّحين فى أرضهم وزراعاتهم، لم ينالوا أحداً منهم بسوء.

فما بال هؤلاء؟ ما بال هؤلاء يقتلون كلّ من هبّ ودبّ؟

جاء الفقه الإسلامى ينهى عن قتل من لم يقاتل: لا يُقتل راهبٌ، ولا يُقتل

---

(١) انظر – على سبيل المثال –: صحيح البخارى، كتاب الجهاد والسير، باب (قتل الصبيان فى الحرب) وباب (قتل النساء فى الحرب). وكذلك: (كتاب السنن الكبرى) للبيهقى: باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما (٩/٨٩ – ٩١).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أبو داود والنّسائي وابن حبان من حديث رباح بن الربيع (فتح البارى: ٦/١٧٢) ط. دار الريان بالقاهرة. رواه أحمد فى المسند (١٥٩٩٢) عن رباح بن الربيع. وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن وأخرجه النسائي فى السير (٨٥٧١) وابن ماجه في الجهاد (٢٨٤٢) وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) وهذا القول هو الذى رجّحه الإمام ابن جرير. انظر كتابه: (جامع البيان: ٢/١٩٠)، ط: مكتبة ومطبعة البابى الحلبى وأولاده.

زَمِنٌ – أى إنسان مصاب بالشلل أو نحو ذلك ولا يستطيع أن يحارب – ولا يقتل أعمى، ولا صاحب عاهة، لا يُقتل واحد من هؤلاء إلاّ إذا كان له مشاركة فى الحرب، ولو بالرأى والتدبير. لو كان هناك شيخ كبير ولكنّه يشارك فى الحرب برأيه وتدبيره وكيده وتخطيطه، هذا نعتبره مقاتلا أو فى حكم المقاتل. وقد قال أبو الطيب:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هـو أوَلٌ، وهي المحل الثاني!

أمّا ما دون هؤلاء فلا يجوز لنا أبداً أن نقتلهم.

هذا ما جاء به الإسلام.

الإسلام يقتصد فى القتل حتى فى حروبه الرسميّة بينه وبين أعدائه. ولذلك كانت الوصايا النبويّة والوصايا الراشديّة من الخلفاء: ألاّ يقتلوا شيخاً، ولا طفلا، ولا امرأة، ولا يهدموا بناء، ولا يقطعوا شجراً، ولا يحرقوا شيئا فى طريقهم، إلاّ ما اقتضته ضرورة الحرب.

ولذلك وُصف المسلمون بأنّهم كانوا أرحم النّاس فى الحروب. وقال أحد المؤرّخين – غوستاف لوبون –: ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب (يعنى المسلمين).

هكذا كانت هذه الأمّة.

أبو بكر رضى الله عنه أرسل إليه أحد القادة برأس قائد.. جاءه مندوب يبشّره ومعه صُرّة، فتح أبو بكر الصديق الصُرّة فوجد فيها رأس إنسان مقتول، فاستعاذ بالله وقال: ما هذا؟ قالوا له: ياخليفة رسول الله، إنّهم يفعلون بنا مثل ذلك، فارس والروم إذا قُتل أحد من قادتنا يبعثون برأسه إلى ملكهم أو امبراطورهم أو قائدهم الأعلى يبشّرونه بهذا الأمر، فنحن نعاملهم بالمثل. فقال أبو بكر رضى الله عنه: آستنان بفارس والروم؟ (١) – أنستنّ بهم؟ نقتدى بهم؟ أنتخذهم أساتذة لنا؟ نجعلهم أسوة لنا؟ – والله لا يُحمل إلىّ رأس بعد اليوم؟

هذا هو المنهج الإسلامى.

فكيف بهؤلاء الشباب الذين يتقرّبون إلى الله بقتل النّاس المدنيين وتفخيخ السيارات فى الشوارع؟!

---

(١) رواه عبد الرزاق فى (المصنف) (٥/٣٠٦) الأثر رقم (٩٧٠١)، وسعيد فى السنن جـ ٣ الأثر رقم (٢٦٣٦) والبيهقى فى (السنن الكبرى) (٩/١٣٢) وقال ابن حجر فى تلخيص الحبير: إسناده صحيح (٤/١٠٨).

صحيح فى بعض البلدان – كما فى الجزائر – اختلط الحابل بالنّابل، والتبس الحق بالباطل، وما عُدنا نعرف: ما الذى تفعله تلك الجماعات المسلّحة، وما تفعله السلطة وما يفعله الآخرون؟ حتى إنّنا نرى أحياناً مجزرة تحدث وتظلّ ساعات يحدث فيها التذبيح والتقتيل بأشدّ أنواع الأساليب وحشيّة، ضرباً بالفؤوس أو قطعاً للرؤوس بالسكاكين أو بالبلطة أو بغير ذلك أو بالتحريق فى الأفران! أشياء فظيعة جداً، ولا يأتى أحد من رجال الأمن أو من رجال الجيش أو من رجال الشرطة! أين هؤلاء؟ ولذلك اختّلطت علينا الأمور.

كلّ ما نقوله: إنّنا ننكر هذه الأحداث أيّاً كان فاعلها، ننكر أن تحدث باسم الدين أو باسم السياسة، ننكر العنف العشوائى الذى لا يميّز بين برىء ومسىء، هذا ما لا يجوز بحال من الأحوال.

إنّنا نرى هاتين الصورتين أيّها الإخوة: صورة من يقتل من أجل الدنيا، وصورة من يقتل من أجل الدين. هذه مصيبة.

احترام الإسلام للنفس البشرية وصيانتها:

نرى ما يحدث فى أفغانستان: سنوات من القتل والقتال وسفك الدماء بين إخوة الأمس الذين كانوا رُفقاء الجهاد ورُفقاء السلاح. كيف يحدث هذا؟ يزعمون أنّهم يفعلون هذا من أجل الدين! آلدين أمركم أن يقتل بعضكم بعضا.. أن ترجعوا كفّاراً كالجاهليّة يضرب بعضكم رقاب بعض؟[1].

هذا ما ننكره.

الدم المسلم يجب أن يُصان، ألاّ يُراق إلاّ بحقّه، وحقّه معروف حدّدته الأحاديث: «.. الثيّب الزانى، والنّفس بالنّفس (أى القصاص)، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[2].

لا يجوز أن يتعدّى النّاس، ويتجاوزوا، ويقتلوا من لا يستحق القتل.

---

(١) بل الدين نهانا عن ذلك وجاء فى الحديث: «لا ترجعوا بعدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه البخارى فى العلم (١٢١) ومسلم فى الإيمان (٦٥) عن جرير بن عبد الله.

(٢) رواه البخارى فى الديات (٦٨٧٨) ومسلم فى القسامة والمحاربين (١٦٧٦) عن ابن مسعود وأوله: «لايحلّ دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنىّ رسول الله إلا بإحدى ثلاث».

OBEIKAN.COM

إنّ القرآن الكريم اعتبر قتل النّفس جريمة كبرى: ﴿ .. **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** .. ﴾ [المائدة: ٣٢].

قتل النّفوس هذا أمر اتفقت كلّ الشرائع السماويّة والأرضيّة على تجريمه. كلّ الشرائع لا يمكن أن تبيح سفك الدماء، وفقهاؤنا أجمعوا على أنّ الضّروريّات الشرعيّة خمس، الضروريّات التى جاءت الشريعة – بكلّ أحكامها وأوامرها ونواهيها – للمحافظة عليها هى خمس: المحافظة على الدين، والمحافظة على النّفس، والمحافظة على العقل، والمحافظة على النّسل، والمحافظة على المال.

الدين ثمّ النّفس: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً** ﴾ [الإسراء: ٣٣].

ماذا نقول فى هذا العصر الذى استهان النّاس فيه بحرمة النّفس الإنسانيّة، فأصبحنا نرى القتل هنا وهناك، هذا ما لا يجوز بحال من الأحوال.

وممّا يؤسف له ما قرأناه بالأمس عن محاولة اختطاف أو اغتيال السفير القطرى فى اليمن، هذا أمر غريب أيضا.

لا ينبغى أن يستهان بأرواح النّاس ولا بحرماتهم ولا بحرّيّاتهم إلى هذا الحد.

آفة الغلو والتطرف:

حتى من كان يُعارض المؤتمر الاقتصادى. أنا أعارض المؤتمر الاقتصادى، ولكن نعارض الرأى بالرأى، والحجة بالحجّة، والكلمة بالكلمة، لا يتعدّى ذلك إلى أن نختطف النّاس، هذا أمر لا يقرّه شرع ولا خلق ولا قانون.

متى تستطيع هذه الأمّة أن تتعامل بحرّيّة وصراحة، ويقول بعضها لبعض: نعم ولا، هذا صواب وهذا خطأ، وهذا يجوز وهذا لا يجوز؟ وينبغى أن تتسع الساحة للجميع، ولا يضيق أحد ذرعا بكلمة الحق، كلٌّ يقول ما عنده، أمّا أن يتعدّى ذلك من اللسان إلى اليد.. أن أتكلّم بلغة الدم بلغة العنف، فهذا ما نرفضه.

إنّنا نهيب بالأمّة أن تعود لتربية شبابها تربية إسلاميّة متوازنة، تنفخ فيها من روح الإيمان، تغرس فيها قيم الحق والخير، تعلّمها الإسلام الصحيح المتوزان لا إسلام الغلوّ والتنطّع. لقد جاء فى الحديث: «هلك المتنطّعون (المتزيّدون المتعمقّون)، هلك المتنطّعون، هلك المتنطّعون»(١)، قالها النبى ﷺ ثلاثا لعظم خطر التنطّع. وقال: «إيّاكم والغلوّ فى الدين، فإنّما هلك من كان قبلكم بالغلوّ فى الدين»(٢).

لا تغلو فى دينكم، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل.

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائرنا، وأن يفقهنا فى ديننا، وأن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، إنّه سميع قريب.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد أيّها الإخوة المسلمون:

هناك تنبيهان أردت أن أذكّر بهما:

أولهما: أن وزارة الأوقاف فى قطر أنشأت صندوقاً للزكاة، تأخذها من الأغنياء لتردّها إلى الفقراء. وهذا الصندوق مفتوح لكلّ من يريد أن يحرّر نفسه من رجس الشحّ ﴿.. **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ [الحشر: ٩، التغابن: ١٦]. الله تعالى يقول: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم**﴾ [التوبة: ١٠٣].

ذكرى وعد (بلفور) المشؤوم:

والتنبيه الثانى: أنّه بعد غد يكون قد مرّ ثمانون عاماً على وعد بلفور.

---

(١) رواه مسلم فى العلم (٢٦٧٠) عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد فى المسند (١٨٥١) عن ابن عباس وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن ماجة فى المناسك (٣٠٢٩) وقال محققه: إسناده صحيح، وذكره الألبانى فى صحيح ابن ماجة (٢٤٥٥).

OBEIKAN.COM

بلفور وزير خارجيّة بريطانيا الذى وعد اليهود فى العالم بإنشاء وطن قومىّ لهم فى فلسطين. كان ذلك فى (٢) نوفمبر سنة (١٩١٧م) أثناء الحرب العالميّة الأولى.

مرّ ثمانون عاماً على هذا الوعد الذى علّق عليه من قال: إنّ من لا يملك وعد من لا يستحق. وعلّق عليه مفتى فلسطين الأكبر المجاهد الحاج أمين الحسينى رحمه الله فقال: إنّ فلسطين ليست وطناً بغير شعب حتى تستقبل شعباً بغير وطن.

ولكنّ الدول الغربيّة – وفى مقدّمتها بريطانيا فى ذلك الوقت ثمّ أمريكا بعد ذلك ودول الغرب بصفة عامّة – كادوا للفلسطينيّين، وكادوا للعرب، وكادوا للمسلمين، وكادوا للأمّة الإسلاميّة حتى قامت (إسرائيل) فى هذه الأرض.

ولا تزال إسرائيل تركل بقدميها هذه الجبهة، وتضرب تلك الجبهة، وتصفع تلك الجبهة، وتتحدّى، وتتصدّى، وتتعدّى، ولا تجد من يقاومها، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

تجد الاستسلام الهزيل المرّ، تجد هذا الخنوع الذى نراه هنا وهناك، إلاّ فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى، وضعوا رؤوسهم على أكفّهم، وأرواحهم فى أيديهم، وبذلوها لله، وقال أحدهم: وعجلت إليك ربى لترضى. هؤلاء هم الأمل، وهم معقد الرجاء إن شاء الله فى تحرير فلسطين، وفى إعادتها إلى أهلها، إن لم يكن اليوم فغدا، وإنّ غداً لناظره قريب.

لن نيأس أبداً أيّها الإخوة، الكثيرون ييأسون، ونحن لن نيأس من روح الله، فـ ﴿ .. **إِنَّه لا ييْأَس مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْم الْكَافِرُون** ﴾ [يوسف: ٨٧].

إنّ الزمن قُلّب، وإنّ الدنيا دول، وإنّ دوام الحال من المحال، والله تعالى يقول: ﴿ .. **وتِلْك الأَيَّام نُداوِلُها بيْن النَّاسِ** .. ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

من كان يظنّ أنّ الاتحاد السوفيتى الذى يملك تلك الترسانة النّووية الهائلة والقّوة العسكريّة الضخمة، ويملك ما يملك، ينهار فى سنوات قليلة؟ من كان يظنّ هذا؟

إنّ التاريخ لا يملك زمامه أمريكا، ولا تملك زمامه إسرائيل، إنّما يملك زمامه ربّ العالمين.

إنّ الغد لنا، وإنّ المستقبل لنا. الرصيد فى حسابنا يزداد إن شاء الله.

سنستردّ إن شاء الله – إن لم يكن فى القريب العاجل ففى يوم يعلمه الله عزّ وجلّ – سنسترد حقنّا، ستعود إلينا حقوقنا إن شاء الله، وما ذلك على الله بعزيز.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يفتح لنا فتحاً مبينا.

اللهم افتح لنا فتحاً مبينا، واهدنا صراطا مستقيما، وانصرنا نصراً عزيزا، وأتمّ علينا نعمتك، وأنزل فى قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود المعتدين، اللهم رُدّ عنّا كيدهم، وفُلّ حدّهم، اللهم إنّا ندرأ بك فى نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم أنزل عليهم بأسك الذى لا يردّ عن القوم المجرمين.

اللهم انصر إخوتنا المجاهدين فى فلسطين ولبنان، وفى كشمير والسودان، وفى سائر بلاد الإسلام.

اللهم خُذ بأيدى إخواننا المضطهدين والممتحنين والمعتقلين، اللهم افكك بقوتّك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتولّ بعنايتك أمرهم.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلّها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منّا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا. اللهم هيىّء لنا من أمرنا رشدا. اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئنّا، سخاء رخاء وسائر بلاد الإسلام.

﴿ .. **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ .. **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

OBEIKAN.COM

(٢)
القصاص فى الشريعة الإسلامية(*)

● **الخطبة الأولى:**

أمّا بعد فيأ أيّها الإخوة المسلمون:

منذ عّدة أشهر والإعلام الغربى يشوّش على الشريعة الإسلاميّة، على القضاء الشرعى فى ديار الإسلام.

كتبوا المقالات وأثاروا الشبهات منذ أن حكم القضاء الشرعىّ فى دولة الإمارات على فلبينيّة قتلت مخدومها، قتلته عمداً ومع سبق الإصرار، وحكم القضاء الشرعى عليها بالإعدام قصاصا، إلاّ أن يعفو أولياء الدم، وهذا أمر قرّره الشرع الإسلامى بنص القرآن: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا** ﴾ [الإسراء: ٣٣].

ثمّ حدثت حادثة أخرى فى المملكة العربّية السعوديّة: قتلت امرأة بريطانيّة امرأتين أستراليّتين، واحتكموا إلى القضاء الشرعى، فحكم القضاء بالقصاص من هذه المرأة القاتلة المتعمّدة. هذا هو الجزاء إذا احتكم هؤلاء إلى القضاء الشرعى كما قال تعالى: ﴿ **فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [المائدة: ٤٢]. والقسط هو ما أنزله الله عزّ وجلّ من القصاص من القاتل المتعمّد كما قال عز وجلّ: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٩]

● **لماذا شرع الله القصاص:**

شرع الله تعالى القصاص ليؤمّن الحياة للناس، حتى لا يعتدى النّاس بعضهم على بعض، ولا يتطاول بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا دون رادع.

(*) ألقيت فى مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة فى أوائل نوفمبر ١٩٩٧م.

OBEIKAN.COM

إنّ للنّفس الإنسانيّة منزلة كبيرة فى هذا الدين، وإنّ لحياة الإنسان قيمة كبيرة عند الله، فهو بنيان الله تعالى ملعون من يهدمه، ملعون من يريد أن ينتزع الروح من بين جسد إنسان، ولم يعطه الله تعالى هذا الحقّ.

ولذلك قرّر الله تعالى هذا القصاص لحياة النّاس: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ..** ﴾ [البقرة: ١٧٩]، والله تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى..** ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فى سورة البقرة جاء هذا التعبير عدّة مرّات: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى..** ﴾ [البقرة: ١٧٨] فى القانون الجنائى.

﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ..** ﴾ [البقرة: ١٨٠] فى قانون الأسرة.

﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٣] فى قانون العبادات.

﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ..** ﴾ [البقرة: ٢١٧] فى قانون العلاقات الدوليّة.

﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ** ﴾ أى فُرض عليكم فرضيّة مُوثّقة مؤكّدة، فهكذا كتب الله القصاص على هذه الأمّة ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى** ﴾ [البقرة: ١٧٨]

كما كُتب الصيام وفُرض الصيام: كُتب القصاص ﴿ **..الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ..** ﴾ [البقرة: ١٧٨]. جاء ذلك كما قال المفسّرون: إن بعض قبائل العرب الذين كانت لهم عزّة ومَنْعة، كانوا لا يقبلون أن يقتل الإنسان بمثله، إذا قُتل عبد قالوا: نريد مقابله حرًّا من عندكم، وإذا قُتلت امرأة قالوا: نريد رجلاً، وإذا قُتل وَضيع قالوا: نريد سيّدًا من ساداتكم، فالله تعالى قال: ﴿ **..الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ..** ﴾(*) [البقرة: ١٧٨].

(*) انظر: القرطبى (٢/٢٤٤).

OBEIKAN.COM

● **بين القصاص والعفو :**

ثم شرع القرآن العفو : ﴿ .. **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ..** ﴾(*) [البقرة : ١٧٨]، وانظروا إلى هذا التعبير : ﴿ **مِنْ أَخِيهِ** ﴾ أبقى الأخوّة رغم جريمة القتل، ممّا يدلّ على أنّ هذه الجريمة وحدها لا تُخْرِج الإنسان من الملّة، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ..** ﴾ [الحجرات : ٩]، ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ..** ﴾ [الحجرات : ١٠].

﴿ **..فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ١٧٨].

هذا ما جاء به الإسلام، لم يقل ما قالت المسيحيّة : إنّ من ضربك على خدّك الأيمن فأدر له خدّك الأيسر! فهذا قد يصلح فى زمن محدود لفئة محدودة خاصّة، ولكنّه لا يصلح شريعة عامّة وشريعة خالدة لكلّ الناسّ، ولكلّ البيئات، ولكلّ الأعصار.

الإسلام شرع العدل وشرع الفضل، العدل أن تقتصّ لنفسك : ﴿ .. **فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ..** ﴾ [البقرة : ١٩٤]، ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ..** ﴾ [الشورى : ٤٠]. والفضل أن تعفُو وتتفضّل : ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الشورى : ٤٠]، ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٦].

ولهذا كان حكم القضاء الشرعى فى هذه الحوادث هو : القصاص، إلاّ أن يعفو أولياء الدم، فإذا عفوا فهم أحرار.

هذا هو العدل الذى جاء به الإسلام.

● **رحمة فى غير موضعها :**

ولكنّ هؤلاء لا يفهمون العدل، هؤلاء يُشفقون على المجرمين، ولا يُشفقون

(*) راجع تفسير هذه الآية فى تفسير الطبرى (٢ / ١٠٧) والقرطبى (٢ / ٢٤٤).

OBEIKAN.COM

على الضحايا، إنّهم مع الجانى المجرم الشرّير، أحْنى عليه من الأمّ على أولادها، أمّا المجتمع الذى يُضحّى بأمنه ويُضحّى بماله ويُضحّى بحرماته من هؤلاء العتاة الذين لا يرحمون مخلوقًا ولا يخشون خالقا، فهم مشفقون عليهم، مترفّقون بهم.

هذا المجرم الذى يقتل، والذى يسرق، وأحيانًا وهو يسرق لا يبالى أن يقتل.. لا يبالى أن يدمّر.. لا يبالى أن يفعل ما يفعل...

قد ذكرت لكم فى الأسبوع الماضى ذلك الرجل الذى قتل المرأة وطفليها من أجل أن يسرق حُليّها، قتل ثلاثة أنفس، امرأة لا ذنب لها، وليست من الغنيات ولا الثريات، كلّ ما تملكه هذه (الغوايش) أو هذه الأشياء فى يديها. وقتل طفلين زكيّين لا ذنب لهما من أجل أن يسرق.

هؤلاء رحماء مشفقون على هذا الجانى.. لا ينبغى أن تقطع مثل يد هذا الإنسان المجرم!

● **ردع المجرمين ليستقيم ميزان العدل:**

هؤلاء لا أدرى كيف يفكّرون، يقولون: إنّا خسرنا نفسًا – وهو نفس الإنسان المقتول – فلا ينبغى أن نخسر نفسًا بشريّة أخرى! وهى نفس القاتل.

نظروا هذه النّظرة الجزئيّة، ونسوا أنّ ترك هذا القاتل بدون عقوبة يُجرّىء غيره على القتل.. يُغْريهم بالقتل، مادام الإنسان لا يُقتل، وإنّما يسجن، ثمّ فى مناسبة من المناسبات يُفرج عنه.. يُعطى عفوًا مع من يُعفى عنهم، هذا لا يردع النّاس. وبهذا يزداد عدد المقتولين، وعدد القاتلين أيضا.

● **خصائص العقوبة الإسلامية:**

إنّ من خصائص العقوبة الإسلامية أنّها:

١ – **عقوبة رادعة**: شرع ذلك من هو أرحم بالنّاس من الوالدة بولدها.. من هو أبرّ بالنّاس من أنفسهم.. من يعلم المفسد من المصلح ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

شرع ذلك الله الذى يعلم أنّ النفوس الشّريرة لا يردعها إلاّ عقوبة زاجرة

﴿ .. ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].
وكما قال ذو القرنين: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٧]، هذا منطق الفطرة.

منطق الفطرة: أن يعاقب الجانى عقوبة رادعة تزجره أن يعود إلى مثل هذه الجريمة، وتردع غيره أن يقلّده فى مثلها.

ما الذى جرى فى هذه المجتمعات التى تشفق على الجانى وتعتبره إنسانًا مريضًا! وتعتبره ضحيّة من ضحايا المجتمع! وتسلبه الإرادة والاختيار؟!

ويقول قائلهم: إنّ الفرد دُميةٌ يحرّك خيوطها المجتمع!

سلبوا الإنسان الإرادة، سلبوه المسئوليّة، مع أنّه يفكّر ويخطّط وينفّذ من أجل طمع فى مال، أو من أجل انتقام، أو من أجل حقد، أو من أجل أىّ شىء من هذا.

الإنسان هو الإنسان، قتل الإنسان أخاه منذ فجر البشريّة ﴿ .. قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ .... فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ.. ﴾ [المائدة: ٢٧ – ٣٠]. ولذلك قرر الله تعالى بعد أن ذكر لنا هذه الحادثة.. حادثة قتل ابن آدم لأخيه: ﴿ .. أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ بغير قصاص، يستحق القتل. ﴿ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ ﴾ النفس إذا أفسدت فى الأرض كما فى حدّ الحرابة وقطع الطريق وغيرها تستحق القتل. ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ يستمرئ الإنسان القتل، الاعتداء على الفرد كالاعتداء على النّوع، من هان عليه أن يقتل إنسانًا واحدًا لا يبالى بعد ذلك. بمن يقتل.

● **السجن وحده ليس رادعًا عن الجريمة:**

من أجل هذا كان الردع بالقصاص، السجن ليس ردعًا، كتبوا على السجون

هذه العبارة: السجن تأديب وتهذيب وإصلاح! ولكنّا جرّبنا فلم نجد السجون هذّبت، ولا أدّبت، ولا أصلحت. رأينا الذى يسرق يدخل السجن فيخرج منه أشدّ ضراوة وأشدّ حُنكة وتجربة، تعلّم من العُتاة.. من اللّصوص الذين هم أسبق منه زمنًا وأكثر منه خبرة، تعلّم منهم الإجرام.

لو كان معه الشهادة الابتدائية فى الإجرام يجد من معه الثانوية! وإن كان معه الثانويّة يجد من معه البكالوريوس أو الدكتوراه فى الإجرام! هناك درجات فى الإجرام!

ولذلك انتشرت السرقات، رغم عقوبات السجن فى البلاد الإسلاميّة التى عطّلت حدود الله عزّ وجلّ.

حينما أقامت المملكة العربيّة السعوديّة حدّ السرقة، وكان يُضرب بها المثل فى اختلال الأمن – كان النّاس يقولون فى مصر قديمًا عندما يذهب الإنسان إلى الحج: الذاهب مفقود والعائد مولود! وذلك لانتشار الجرائم هناك، والقتل والسطو وقطع الطريق وقطع الرقاب – فلمّا أقيمت هذه الحدود.. لمّا أقيم هذا الجزء من حكم الشريعة كان له أثره.. كان له أثره فى إقامة الأمن فى الحياة، فى المجتمع كلّه، أصبح الإنسان يذهب إلى متجره ويتركه أحيانًا ويذهب إلى الصلاة، ويعود لا شىء يحدث. معظم جرائم السرقة تحدث من أناس يفدون من الخارج لهذا الأمر.

ماذا حدث فى المجتمعات الغربيّة التى تسخر من حدود الشريعة الإسلاميّة.. تسخر من حدّ السرقة وتسخر من القصاص؟

اختلّ الأمن اختلالاً تامًّا، لا تكاد تمّر دقيقة إلاّ وحادث قتل أو سرقة أو جريمة، يحدث فى مدينة من المدن. يعيش الإنسان خائفًا على نفسه.. خائفًا على أهله.. خائفًا على ماله.. خائفًا على عرضه، لم يعودوا يستمتعون بالأمن، الخوف الجماعى هو السمة العامّة فى هذا المجتمع.

حينما تذهب إلى هناك يقولون لك: أغلق باب الحجرة فى الفندق بالترباس، ولا تفتح لأىّ أحد يقرع بابك، انظر من العين السحريّة، واحذر ثمّ احذر ثمّ احذر، وإذا خرجت فلا تخرج بعد الساعة السادسة مساء أو نحو ذلك،

وإياك أن تخـرج وحدك، وإذا خرجـت فـلا تأخذ معك مالاً كثيراً فى جيبك، ولا تخرج بغير مال أيضًا، لأنّ هـؤلاء اللّصـوص الذيـن يأتون يفتّشـونك فإذا لم يجدوا معك شيئًا قالوا: إنّك تستحق القتل وقتلوك، فاترك لهم شيئًا يرضيهم فى جيبك!! وهكذا الخوف من القتل والخوف من الاعتداء هو السمة العامّة فى هذا المجتمع.

هذه هى تشريعاتهم الوضعيّة، هذه قوانينهم الأرضيّة، فماذا يعيبون علينا؟

إنّ الله شرع هذه الأحكام لمصلحة عباده، الله تعالى لا يناله نفع من وراء ذلك، هو غنىّ عن العالمين، إنّما يشرع ما يشرع لمصلحة العباد فى المعاش والمعاد، لمصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، المصلحة الآنيّة والمصلحة المستقبليّة، المصلحة المادية والمصلحة المعنويّة، المصلحة الخاصّة والمصلحة العامّة، المصالح يرعاها هذا الشرع العظيم لأنّه شرع الله، ليس شرع فلان ولا علاّن، شرع الله لعباده، حكم الله لخلقه: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾

[المائدة: ٥٠]

لهذا كان (الردع) فى هذه الأحكام وفى هذه العقوبات هو أوّل خصائص هذه العقوبات: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾

[المائدة: ٣٣]

● **باب التوبة مفتوح للمجرمين:**

ومع هذا فإنّ هذا الشرع العظيم فتح باب التوبة على مصراعيه لمن يريد أن يتوب. فى هذا الحد.. السرقة الكبرى.. حدّ الحرابة أو قطع الطريق يقول القرآن: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٤]

هؤلاء الذين أرهبوا الناس ،وأرعبوا البشر، وأخافوا الطريق، إذا هيّأت لهم أنفسهم أن يتوبوا، وأن يرجعوا عن غيّهم، وأن يسيروا فى طريق الاستقامة، فتابوا إلى الله، وقرعوا بابه، وجاؤوا وسلّموا أنفسهم مختارين ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٤].

وبعد حدّ السرقة يقول عزّ وجلّ: ﴿ **فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ..** ﴾ [المائدة: ٣٩]. بعض الفقهاء يشترط أن يتوب السارق قبل القدرة عليه ويردّ المال – كما يقول الأحناف – ويسلّم نفسه فلا تقطع يده. والبعض يفتح الباب للتوبة باستمرار كما هو رأى الإمام ابن تيمية وابن القيّم: أنّ من تاب وظهرت عليه علامات التوبة، فمن حقّ القاضى أن يسقط عنه الحدّ، وإذا سقط الحد ليس معناه سقوط العقوبة نهائيًّا، يسقط القطع ولكن يُعزّر بما يناسبه، يسقط الجلد ولكن يُعزّر بما يناسبه، يسقط القصاص ولكن يُعزّر بما يناسبه. ولكن فرق ما بين القصاص والحدود الأخرى: أنّ القصاص حقّ الإنسان.. حقّ أولياء الدم، هم أصحاب الحقّ فيه. الحدود الأخرى هى حقّ الله، ولذلك لا يُشترط فى تلك الحدود أن يطالب بها مطالب، أمّا فى القصاص فلابدّ أن يطالب ولىّ الدم، وهو حرّ إن شاء قبل الدية أو أكثر من الدية، وصالح القاتل على ما يتفقان عليه، وإن شاء عفا بغير شىء، وإن شاء أخذ حقّه بالقصاص.

التوبة تسقط الحد، وهذه فرصة عظيمة فى هذا الدين، إذا رأى القاضى أنّ الجانى قد بدت عليه أمارات التوبة والاستقامة، وشعر منه بالصدق، فإنّ من حقّه أن يسقط عنه الحد. لكن إذا رآه متلاعبًا، تاب مرّة وعفا عنه ثمّ جاء فى المرّة الثانية والثالثة وهكذا، هذا يضحك على القضاة، هذا لابدّ أن يُردع، ولابدّ أن يعاقب العقوبة التى تليق بمثله.

من خصائص العقوبة فى الإسلام: الردع.

٢ – من خصائص العقوبة المساواة:

ومن خصائص العقوبة فى الإسلام: المساواة. من قتل يُقتل، يُقتل الصغير

بالكبير، يُقتل الطفل بالإنسان الكهل، يُقتل من قتل فرّاشًا أو ساعيًا وكان أستاذًا كبيرًا، يُقتل به، يُقتل الغنىّ بالفقير، يُقتل الإنسان بالإنسان.

الإسلام ينظر إلى النّفس الإنسانيّة: (النّفس بالنّفس)، أسود أو أبيض، غنىّ أو فقير، كبير أو صغير، حاكم أو محكوم، لا فرق بينهما. حتى الحاكم يحكم عليه القاضى، يذهب الوالى إلى القاضى ويحكم عليه، حتى قال جمهور الفقهاء: الإمام الأعظم.. الخليفة الأكبر لو ارتكب جريمة يذهب إلى قاضى المسلمين ويحكم عليه، وعليه أن ينفّذ. وإذا لم ينفّذ فإنّه يُعاقب أمام الله عقوبتين: عقوبة من أجل أنّه استحق عليه الحدّ وعقوبة أخرى: أنّه عطّل هذا الحد وواجب عليه أن يرعاه وينفّذه.

ليس فى الإسلام إنسان كبير على حكم الله، القوانين الوضعيّة استثنت أناسًا كثيرين لا يُقام عليهم حكم القانون، أعطتهم حصانة.. حصانة برلمانيّة.. حصانة قضائيّة.. حصانة دبلوماسيّة.. حصانات مختلفة! الإسلام لا يحصّن إنسانًا ارتكب جريمة وقامت عليه الأدلّة، كلّ النّاس سواسية كأسنان المشط أمام أحكام الله تبارك وتعالى.

هذه هى المساواة التى جاء بها هذا الدين.

ويكفى أنّ النبى ﷺ حينما همّ قريشًا أمر تلك المرأة المخزوميّة التى تكرّرت منها السرقة ثمّ قامت البيّنة عليها فوجب أن تقطع يدها، فأهمّ قريشًا أنّ هذه من بنى مخزوم من ذؤابة قريش، إنّها لفضيحة الدهر أن تقطع يدها، فقالوا: ماذا نفعل؟ فكلّموا أسامة بن زيد حبَّ رسول الله ﷺ وابن حبّه ليشفع فى هذه المرأة، فجاء أسامة ليشفع عند رسول الله ﷺ فغضب النبى ﷺ وقال له: «يا أسامة، أتشفع فى حدّ من حدود الله؟ إنّما هلك الذين من قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايمُ الله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها»[1] - هكذا قال ﷺ - وهى أعزّ النّاس عليه، وأحبّ النّاس إليه. حماها الله من السرقة!

---

(١) رواه البخارى فى أحاديث النبى (٣٤٧٥) ومسلم فى الحدود (١٦٨٨) وأبو داود، والترمذى، والنّسائى، وابن ماجة، عن عائشة رضى الله عنها (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ٢/ ٦٥١ برقم ١٣٩٨).

النّاس سواء فى ميزان الإسلام، هذا ما جاء به هذا الدين.

٣ - من خصائص العقوبة : العدل:

ثم هناك أيضًا من خصائص العقوبة الإسلاميّة أنّها تقوم على العدل. والعدل أكبر من المساواة، العدل أن تُراعى الظروف، العدل أن تخفف عمّن يستحق التخفيف.

ولذلك من عجائب ما جاءت به هذه الشريعة أنّها جعلت عقوبة الحر ضعف عقوبة العبد، العبد يُخفّف عنه، على غير ما كان عند الرومان وغيرهم، كان العبيد يُقتلون فى جرائم بسيطة، وكان الأشراف والنّبلاء إذا قتلوا عند الرومان لا يُقتصّ منهم، خصوصًا إذا قتلوا أحدًا من الطبقات الدنيا.. الطبقات الضعيفة المسحوقة التى لا وزن لها عندهم.

الإسلام جاء وتحدث عن هؤلاء الإماء الجوارى وقال: ﴿ ..**فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ**.. ﴾ [النساء: ٢٥] أى ما على الحرائر من العذاب، عليهنّ النّصف. ولذلك قال الفقهاء: إنّ عقوبة العبد نصف عقوبة الحرّ فى الكمّ وفى الكيف، حتى قالوا: إنّ السوط الذى يجلد به العبد إذا ارتكب جريمة يجب أن يكون أخفّ من السوط الذى يُضرب به الحرّ، لأنّ هذا مقتضى التخفيف.

● **العذر بالجهل:**

من العدل أن تُراعى ظروف الإنسان، إذا كان جاهلاً ومن شأنه أن يجهل - كما قال عمر رضى الله عنه: لا حدّ إلاّ على من علمه - من يجهل أنّ السرقة حرام ربّما كان فى بادية لم يسمع بأحكام الإسلام أو كان حديث عهد بإسلام أو نحو ذلك ممّن يُعذر بجهله فيخفّف عنه. إذا سرق من حاجة - دفعته الحاجة لأن يسرق - يخفّف عنه.

ومن أجل هذا نجد عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أوقف إقامة الحدّ فى عام المجاعة، عام المجاعة الذى أصاب المسلمين فى بلاد الحجاز أوقف فيه عمر الحدّ.

لم يسقط عمر الحدّ كما يقول النّاس، إنّما لم يجد اسيتفاء الحدّ، لم يستوف الحدّ شروطه، ولم تنتف موانعه.

● **درء الحدود بالشبهات:**

لا بدّ أن تتهيّأ الشروط وتتوافر، وتنتفى الموانع ومن هذه الموانع: الشبهات، فقد جاء: «ادرأوا الحدود بالشبهات..»[1]. وروى الحاكم وغيره: «ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلّوا سبيله، فإنّ الإمام لأن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة»[2].

هذا ما جاء به الإسلام، لا بدّ أن تنتفى الشبهات.

ولذلك قالوا: لو سرق إنسان من بيت المال لا يقطع، لماذا؟ قالوا: لأنّ له حقًّا فيه[3]. إذا قال: أنا لم آخذ حقّى وهذا بيت المال ولي حقّ فيه. إذا سرق الوالد من ولده، إذا سرقت المرأة من زوجها.. لأنّ هناك حقوقًا مشتركة.

لا بدّ أن تنتفى الشبهة، وفى عام المجاعة الشبهة قائمة.

بعض النّاس يقولون: إنّ عمر برأيه وتقديراً للمصلحة أسقط الحد، ومن حقنا فى عصرنا أن نسقط الحدود بناء على ما اتجه إليه عمر! وحاشا لله أن يسقط عمر حدًّا من حدود الله، وقد وُصف بأنّه كان وقّافًا عند كتاب الله. كانت المرأة تقول له شيئًا فيقول: أصابت المرأة وأخطأ عمر. كان عمر رجّاعًا إلى النّصوص، لا يمكن أن يفتات عليها، ولكنّه رأى أنّ الحدّ لم يجب، لم يستوف شروطه، ولم تنتفى موانعه.

---

(١) رواه ابن عدى عن ابن عباس رضى الله عنهما، ورواه أبو مسلم الكجى وابن السمعانى عن عمر بن عبدالعزيز مرسلاً، قال ابن حجر: وفى سنده من لا يعرف، ورواه مسدّد البصرى فى مسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه موقوفًا بلفظ: «ادرأوا الحدود بالشبهة» وقال ابن حجر: وهو موقوف حسن الإسناد (فيض القدير للمناوى: ١/ ٢٢٧ - ٢٢٨ برقم ٣١٤). وتتمتّه «وأقيلوا الكرام عثراتهم إلاّ فى حدّ من حدود الله تعالى».

(٢) رواه ابن أبى شيبة والترمذى والحاكم والبيهقى فى السنن، عن عائشة رضى الله عنها مرفوعًا، وقال الحاكم: صحيح، وردّه الذهبى وقال: وأجود ما فى الباب خبر البيهقى عن ابن مسعود: «ادرأوا الحدّ والقتل عن المسلمين ما استطعتم» قال: هذا موصول جيّد (فيض القدير للمناوى: ١/ ٢٢٧ برقم ٣١٤). وقد حسن الألبانى إسناده موقوفاً فى إرواء الغليل رقم (٢٣٥٥).

(٣) وقد حدث أن سرق رجل من بيت المال بالكوفة، فسأل ابن مسعود عمر عمن سرق من بيت المال. فقال: أرسله فما من أحد إلا وله فى هذا المال حق انظر: المغنى لابن قدامة (١٢/ ٣٨٦).

OBEIKANDL.COM

وكذلك الغُلامان اللذان سرقا ناقة[1] .. غلاما حاطب بن أبى بلتعة سرقا ناقة الرجل المزنى فنحراها، وأكلاها، واشتكاهما الرجل، وهمّ عمر أن يقيم عليهما الحد، ولكن عرف أنّهما فعلاً ذلك من الجوع، وقال: لولا أعلم إنّى أراكم تجيعونهم حتى لو أكلوا ما حرّم الله عليهم لأبيح لهم لقطعت أيديهم، ثمّ قال لعبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة: والله لأغرمنّك غرامة توجعك، ثمّ قال للرجل: كم ثمن ناقتك؟ قال: عرض علىّ فيها أربعمائة درهم، قال: فادفع له ثمانمائة درهم. غرّمه ضعف ثمنها. وهذا لأنّه لا يقبل الإسلام أن يُقام الحدّ إلاّ على مجرم، أمّا من سرق من حاجة فليس بمجرم.

● **الحدود وحدها لا تكفى لاستقامة المجتمع:**

ومن هنا نقول: إننا إذا أردنا أن نقيم الحدود اليوم فلا يجوز أن نأخذ الحدود وحدها ونقيمها دون سائر أحكام الشريعة، كأنّ الله لم ينزل فى كتابه إلاّ: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ..** ﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ..** ﴾ [النور: ٢]، إنّ الحدود فى القرآن لا تكاد تبلغ نحو عشر آيات، وهناك أكثر من ستة آلاف آية، فلماذا أخذنا هذه وحدها؟ ومعظم الحدود جاءت فى سورة (المائدة) وهى من أواخر ما نزل من القرآن، أى بعد أن قام المجتمع الإسلامى واستقرّت دعائمه ورسخ بنيانه بدأت هذه العقوبات.

والعقوبات للشواذّ من الناس، لمن انحرفوا عن الطريق، أمّا القرآن والإسلام فجاء ليصنع الأسوياء، ليربّى المستقيمين على الحق، فمن شذّ بعد ذلك عُوقب بما يردّه إلى سواء السبيل.

إنّنا قبل أن نقيم الحد لا بدّ أن نقيم تعاليم الإسلام كلّها، قبل أن نقيم: ﴿ **فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا** ﴾ [المائدة: ٣٨] لا بدّ أن نقيم: ﴿ **وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾[2]، نأخذ

---

(١) قصة غلامى حاطب بن أبى بلتعة ذكرها البيهقى فى الكبرى (٨/٢٧٨) وعبد الرزاق فى مصنفه (١٠/٢٣٩).

(٢) البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠، ٢٧٧. النّساء ٧٧. التوبة: ٥، ١١. الحج: ٧٨. النّور: ٥٦. المجادلة: ١٣. المزّمّل: ٢٠.

الزكاة من الأغنياء لنردّها على الفقراء، نقيم العدالة الاجتماعيّة. . التكافل الاجتماعي العام حتى يصبح المجتمع كالأسرة الواحدة، وكالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كلّه.

هذا ما ينبغى أن نفهمه فى هذه العقوبات(١).

إنّ العقوبات التى جاء بها الإسلام هى مفخرة لنا نحن المسلمين، هى مأثرة من مآثر هذا الدين، وليست شيئاً، نخجل منه، أو نستحى من الحديث عنه، إنّها عدل الله فى أرض الله لعباد الله، ولن يحقّق المسلمون رخاء ولا استقراراً ولا ازدهاراً ولا أمناً حقيقياً إلاّ إذا أقاموا حدود الله بشروطها، كما شرعها الله عزّ وجلّ.

لا نريد أن يُؤخذ من الإسلام الحدود وحدها، لا، وإنّما يُؤخذ الإسلام كلّه، لا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، وكما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [المائدة: ٤٩]، لا يجوز أن يفتنك هؤلاء عن بعض ما أنزل الله إليك، إذن لا بدّ أن تحكم بكلّ ما أنزل الله إليك ﴿ . . **فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة: ٤٩].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يردّنا إلى دينه وشريعته ردًّا جميلاً، وأن يهيّئ لنا من أمرنا رشدا، وأن يفقّهنا فى دينه، إنّه سميع قريب، أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

- **الخطبة الثانية:**
- **موقف أمريكا من الإسلام:**

أما بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لا أدرى ماذا بيننا وبين أمريكا، لماذا تأخذ أمريكا دائماً دور المعادى للأمّة

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: (بينات الحل الإسلامى)، و(ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده) للدكتور يوسف القرضاوى. طبعة مكتبة وهبة بالقاهرة. وانظر (أثر إقامة الحدود فى استقرار المجتمع) للدكتور محمد حسين الذهبى. طبعة مكتبة وهبة.

OBEIKAN.COM

الإسلاميّة الممالئ لأعدائها؟ لماذا تقف أمريكا أبداً مع إسرائيل؟ لا تضغط عليها، بل تدلّلها، وتربت على كتفها، وتملى لها، وترخى لها العنان لتفعل ما تشاء، وإذا أراد المجتمع الدولى يوماً أن يضغط على إسرائيل بقرار فإنّ (الفيتو) الأمريكى واقف لهم بالمرصاد.

● **أمريكا وحصار السودان:**

آخر ما صنعته أمريكا فى هذا الأسبوع هو القرار الذى اتخذته بالمقاطعة والحصار الاقتصادى الشامل لجمهوريّة السودان!

ما الذى جناه السودان حتى يحاصر؟ وهو محاصر من زمن غير قريب. السودان محاصر من جهات شتىّ، ولكن يُراد الحصار الكامل الشامل على السودان.

ما جناية السودان؟ ما الجريمة التى صنعها السودان؟ هل ارتكب السودان ما ارتكبته إسرائيل؟ إسرائيل التى تسفك الدماء، وتهتك الحرمات، وتفعل ما تفعل فى القدس، تضمّ إليها ما تضمّ، تقيم المستوطنات، تحفر تحت المسجد الأقصى، تفعل هذه الأفاعيل، ولا تعاقب بشىء، والسودان يُعاقب!

ما جريمة السودان؟

قالوا: إنّ السودان يؤوى الإرهاب العالمى! وقال السودان مراراً وتكراراً: يا قوم تعالوا، هاتوا مفتّشيكم، ابعثوا مندوبيكم ومراقبيكم، وأنتم لا يخفى عليكم شىء، الأرض أمامكم، اذرعوها شرقًا وغربًا، وشمالاً وجنوبًا، وابحثوا هل هناك معسكرات للإرهابيّين؟ هل هناك ارهابيّون فى السودان؟

كان هناك بعض الأفراد أووا إلى السودان فى فترة ما، ثمّ تركوا السودان من أنفسهم، لم يريدوا أن يحرجوا هذا البلد الذى يتجه إلى الإسلام.

قالوا: السودان يؤوى الإرهاب! لماذا تركتم الإرهابىّ الأكبر إسرائيل ولم تعاقبوه بشىء؟ (السودان يؤوى الإرهاب) دعوى، مجرّد دعوى.

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بيّناتٍ أبناؤها أدعياء

دعوى لا دليل عليها ولا بينّة.

OBEIKAN.COM

ويقولون: السودان يعتدى على الدول المجاورة، يهدّد أمن الدول المجاورة؟! يا سبحان الله، من الذى يهدّد الآخر؟ ومن الذى يعتدى على الآخر؟ السودان معتد أو معتدى عليه؟ السودان اعتدى عليه.

السودان وقف مع أريتريا حتى استقلّت، رغم اعتراض كثير من الإسلاميّين على السودان، وقالوا: هؤلاء ليسوا أحبابًا لكم ولا أولياء لكم، هم عدوّ لكم وستعلمون. السودان وقف مع أريتريا، والآن أريتريا قلبت ظهر المجن للسودان، وأصبحت تهدّد السودان، وأصبح المعارضون فى أريتريا، وأصبحت القوّات تدخل من أريتريا، وكذلك من أوغندا، وكذلك من أثيوبيا.

السودان هو المهدّد من جيرانه، فكيف انقلبت الآية؟ كيف انعكس الأمر؟ كيف قُلب الوضع؟!

هذا هو العجيب، هذا هو المنطق الذى يقلب الحقائق أباطيل والأباطيل حقائق، لأنّه يستند إلى منطق القوّة لا إلى قوّة المنطق، أصبحت القّوة هى التى تتكلّم:

تكلّم السيف فاسكت أيّها القلم تحكّم الذئب فاخضع أيّها الحَمَل!

هذا هو المنطق الذى يقوله الأقوياء المتجبرون المستكبرون فى الأرض، وكأنّهم أصبحوا آلهة فى هذا الكون لا يُسألون عمّا يفعلون.

لا، إنّ الله أكبر منهم، وأقوى وأعظم، ولن يستمر القوىّ قويّا، ولن يستمر الضعيف ضعيفًا، دوام الحال من المحال، وسنن الله تأبى ذلك: ﴿ .. **وتِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ..** ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقالوا: إنّ السودان يعتدى على حقوق الإنسان! حقوق الإنسان مهدرة فى السودان! كيف هذا؟ إنّ الإنسان فى السودان كما رأيت لا يستطيع أحد أن يهدر حقوقه. السودان بلد يقوم على العشائريّة وعلى الخُلطة بين النّاس بعضهم وبعض، ليس هناك حاكم فرعون، ليس هناك حاكم مستكبر، الإنسان يستطيع أن يكلّم رئيس الجمهوريّة، وأن يكلّم أىّ وزير، وأن يحادث أىّ والٍ ويستطيع أن يصل إليه. ولذلك يتعذر أن يوجد فى السودان ما يوجد فى غيره.

وأنا أقول لهؤلاء الغيورين على حرمات الإنسان وعلى حقوق الإنسان: أين أنتم من البلاد التى رأينا فيها حقوق الإنسان وقد ضاعت، وكرامة الإنسان وقد أُهدرت، وحياة الإنسان وقد هُدّدت، وأمن الإنسان وقد زال؟ أين أنتم من العذارى والنّساء اللاّتى يؤخذن من خدورهنّ ويُذهب بهنّ إلى المعتقلات؟ أين أنتم من المرأة التى تُجبر على أن تخلع حجابها، ويصبح الحجاب جريمة، وهو فريضة عليها من ربها؟! لا تستطيع أن تذهب إلى مدرسة، ولا تستطيع أن تذهب إلى جامعة، ولا أن توظّف فى حكومة ولا مؤسّسة عامّة، بل لا تستطيع أن تُعالج فى مستشفى إلاّ إذا خلعت حجابها وخمارها؟! لماذا تسكتون عن هؤلاء؟ لماذا لا تعاقبونهم؟

السودان هو الذى ينتهك حقوق الإنسان؟! أين هذه الحقوق التى انتُهكت؟

السودان يطبّق الشريعة، وقال: إنّما تطبّق الشريعة على الولايات التى فيها أكثريّة إسلاميّة، والتى ليس فيها أكثريّة إسلاميّة يُترك لها الخيار، إمّا أن تقبل الشريعة الإسلامية إذا أرادت، أو تقبل أىّ قانون وضعى. تركوا الخيار للنّاس.

ما الذى فعله السودان فى انتهاك حقوق الإنسان؟ أهذا منطق؟ أهذا منطق البلد الذى أعطاه الله القوّة، وأصبح هو القوّة الوحيدة والقطب الأوحد فى العالم؟!

إنّ الإنسان إذا أعطاه الله نعمة فلم يصنها ولم يشكرها، فإنّه جدير أن تُزال عنه هذه النّعمة، والله تعالى يقول: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ [إبراهيم: ٧].

إنّنا نناشد أمريكا أن تكفّ عن هذه الطريقة فى التعامل مع الأمّة العربيّة والإسلاميّة.

لماذا هذا التعامل مع بلاد العرب والمسلمين وحدهم؟

لماذا الضغط على العراق وحده؟ نحن لسنا من أتباع صدّام حسين، ولسنا

OBEIKAN.COM

من البعثيين، ولكنّنا مع الشعب العراقى.. مع الجائعين.. مع الأطفال، لا نريد أن يذوق هذا الشعب ثمرة انحراف حكّامه.

لماذا هذا كلّه مع الشعب العراقى حينا.. مع الشعب الليبى حينا.. مع إيران حينا آخر، مع السودان أخيراً.

إنّنا نطالب أمريكا أن تكون مُنْصفة، وأن تكون عادلة، وأن تراقب الله وقد أعطاها هذه القوّة الهائلة، ولكن الله أقوى منها ﴿ **فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾ [فصلت: ١٥].

* * *

OBEIKAN.COM

(٣)
أكذوبة اضطهاد الأقليات المسيحية!

■ **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

● **التنصير فى أندونيسيا:**

تتناول الصحف الأجنبيّة والعربيّة فى هذه الأيّام، قضيّة اختلقتها وغذّتها وضخّمتها القوى المعادية للإسلام، ونفخ فيها الإعلام الغربى حتى جعلها تسيطر وتتداعى بها وتتناقلها وكالات الأنباء وغيرها.

هذه القضيّة ما يسمّونه: اضطهاد الأقلّيّات المسيحيّة فى الشرق الإسلامى! فى بلاد العرب خاصّة، وبلاد الشرق الإسلامى عامّة. فبعد أن كانوا من قبل يتهمون مصر والسودان والسعوديّة وإيران، أضافوا إليها الآن ماليزيا وأندونيسيا.

ولماذا ماليزيا وأندونيسيا؟ قالوا: لأنّ هؤلاء يقفون ضدّ المبشّرين الإنجيليّين الأمريكيّين، ولا يفتحون لهم الأبواب على مصاريعها!

هذا مع أنّ هولاء يعملون منذ عقود من السنين، والأبواب مفتّحة أمامهم، والفرص متاحة، ولم يكن يسألهم أحد: لم؟ ولا يقول لهم: كيف؟ حتى إنّه فى أندونيسيا أقيم نحو ستين مطاراً للإرساليّات المسيحيّة الأجنبيّة! تعلمون أنّ أندونيسيا آلاف من الجزر، المسلمون ينتقلون من جزيرة إلى أخرى عن طريق المراكب والقوارب، أمّا الإرساليّات المسيحيّة فكانت تنتقل عن طريق الطائرات الهليوكبتر، وعن طريق المطارات التى وُجدت فى كلّ مكان، حتى قاربت الستين مطارا.

كان هؤلاء قد رسموا خطّة وحدّدوا هدفا: أن ينصّروا أندونيسيا[١] فى خمسين عاما، لا يمرّ نصف قرن إلاّ ويغلب على أندونيسيا العنصر المسيحى.

هكذا خطّطوا: أن يضربوا أكبر بلد إسلامى فى آسيا بل فى العالم كلّه وهو: أندونيسيا، ومثل ذلك فى أكبر بلد إسلامىّ فى إفريقيا وهو: نيجيريا.

---

(١) من أراد التوسع فليراجع كتاب: (غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، لمؤلفه: أبو هلال الأندونيسى، طبعة دار الشروق ط ١٩٨٠، طبعة رابعة.

OBEIKAN.COM

وعملوا عملهم، ونجحوا إلى حدّ كبير، ويجب أن نعترف بذلك، حتى إنّى أذكر منذ نحو ربع قرن فى أوّل مرّة أزور فيها أندونيسيا وبلاد الشرق الأقصى - وكنت مع الأخ المرحوم الشيخ عبدالله الأنصارى رحمه الله - سألت المضيِّف فى الطائرة: هل أنت مسلم؟ قال: لا، أنا مسيحى، ولكنّ زوجتى مسلمة! تصوّروا الخلل الذى حدث.

وسألت المضيفة: هل أنت مسلمة؟ قالت: لا، أنا مسيحيّة، ولكنّى من أسرة مسلمة! يعنى أنّها نُصّرت ارتدّت والعياذ بالله[1].

فكهذا كانوا يفعلون فى هذا المجتمع، وكانوا ساكتين فى ذلك الوقت، مادامت الأمور فى صفّهم فلا حرج فى ذلك! بل كانوا ينشرون ما بين الحين والحين أنّهم فاشلون فى المجتمعات الإسلامية، وأنّ التبشير لا يؤتى أكله، ولا يحقّق هدفه.

لماذا يدعى التنصير الفشل فى بلادنا؟

وقصدهم من هذا عدّة أمور، من هذه الأمور:

١ - أن يستدرّوا عواطف أولئك الذين يدفعون إليهم بالملايين، فيقولوا لهم: إنّ المسلمين مستعصون علينا، نريد مزيداً من الدعم ومزيداً من الإمداد، فتتوالى عليهم التدفّقات الماليّة والتبرّعات المليونيّة.

هذا من ناحية.

٢ - ومن ناحية أخرى لعلّهم أرادوا أن ينوّمونا ويخدّرونا لنقول: الإسلام بخير، والإسلام لا يستطيع أحد أن يواجهه. وننام على آذاننا، ونترك هؤلاء يعيثون فى الأرض فساداً، ويعبثون بعقائد الأمّة ومقدّساتها، وبأبنائها وبناتها.

٣ - ولعلّهم أيضاً يعتبرون أنّ ما يحققّونه هو شىء ضئيل بالنّسبة

---

(١) انظر تفاصيل هذه الرحلة وما أسفرت عنه من دعوة شيخنا القرضاوى لإنشاء مؤسسة تحفظ على المسلمين إسلامهم وتدينهم، فكانت (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) بالكويت، انظر: ابن القرية والكتاب للدكتور القرضاوى الجزء الثالث. طبعة دار الشروق القاهرة.

OBEIKAN.COM

لما يأملونه وينشدونه، فلذلك هم ينشرون أنّهم فاشلون، وأنّهم مخفقون فى العالم الإسلامى.

هكذا كانت الأمور تجرى فى ذلك الوقت، فكانوا صامتين، ما كانوا يتحدثون عن اضطهاد ولا عن شىء، لأنّهم هم الذين يكسبون، وهم الذين يغنمون، وهم الذين يضلّلون.

فلمّا استيقظ المسلمون، ولمّا بدأ عصر الصحوة الإسلاميّة، وبدأ المسلمون يفيقون من سكرتهم، ويستيقظون من سبُاتهم، ويعرفون هُويّتهم وأنّهم مسلمون، وبدأ الدعاة إلى الله يعملون، بدأ هؤلاء يشعرون بإخفاقهم، وبدأوا يثيرون هذه النّعرات وهذه الدعاوى الباطلة: أنّهم مضطهدون، وأنّهم لا تُفتح لهم الأبواب. وما هذا بصحيح.

الواقع أنّ الصحوة الإسلاميّة هى التى عرّفت النّاس حقيقة هؤلاء. هم لم يجيئوا بأهداف دينيّة حقيقيّة، وإنّما تحوط بهم علامات استفهام، فهم طلائع الاستعمار الجديد. وإلاّ كان عليهم أن يذهبوا إلى البلاد التى لا تعرف دينا.. إلى البلاد الوثنيّة والبلاد الملحدة، بدل أن يذهبوا إلى بلاد الإسلام بلاد التوحيد.

إنّ هذه الحملة الجديدة التى تُشنّ على العرب والمسلمين هنا وهناك، تشنّها القُوى المعادية للإسلام فى أمريكا اليوم، وأمريكا الآن تتزعم هذا الأمر، من لم يخضع لها؛ من لم ينحن لأوامرها؛ من لم ينفّذ طلباتها؛ من لم يسر فى ركابها، فلا بدّ أن تثير عليه المثيرات، ولا بدّ أن تخلق حوله الأزمات.

وهكذا، وكلّ بلد لا يقول: نعم.. لا يَحْنى رأسه.. لا يسلّم بهذا الإله الجديد: أمريكا المستكبرة فى الأرض بغير الحق، التى تريد النّاس أن يكونوا عبيداً لها، كلّ بلد لا يخضع لهذه الأوامر: تثير حوله هذه الشبهات وهذه الأزمات.

● **التسامح بين المسلمين والأقباط فى مصر:**

وهكذا الآن يُثار حول مصر، لأنّها حاولت أن تتحرّر من الضغط الأمريكى، يُثار حولها أنّها تضطهد الأقباط.

وللأسف هناك بعض الأقباط ممّن يعيشون فى أمريكا غذّوا هذا الأمر، ومشوا فيه أشواطا.

وقد نشأنا فى مصر صغاراً وشببنا فيها كبارا، وما رأينا اضطهاداً للأقباط، بل رأينا تعايشاً سلمياً. كثيراً ما نجد الكنيسة والمسجد متجاورين، هذا مسجد وتجاهه كنيسة، ولم يحدث أىّ صراع أو أىّ نزاع.

أذكر وأنا صبىّ صغير كان فى بلدنا صرّاف اسمه (الحاج جرجس)! وكنت فى صغرى أحسبه مسلماً، لأنّه (حاج)! حتى عرفت بعد ذلك أنّه (حاج) أى حجّ إلى القدس! وأنّه ليس بمسلم. بلدنا ليس فيه أىّ مسيحى، ولكن كان المسيحيّون يحتكرون مهنة الصيرفة، كلّ الصيارفة كانوا مسيحيّين، حتى دخلها الأزهريّون بعد ذلك، وأصبح المسلمون يكوّنون فيها أغلبية. فما كنت أشعر بأىّ شىء بين المسلمين والمسيحيين، وأرى النّاس يستقبلون هذا الصّرّاف ويكرمونه ويعيش بينهم، ولا أجد فى ذلك أىّ شىء، ولا يجد هو أىّ حرج.

ما عرف النّاس هذا الأمر.

● هل المسلمون والمسيحيون إخوة؟[1]

المسلمون والمسيحيّون عاشوا طوال العصور إخوة متحابّين، هكذا قلت من قبل، فقال لى بعض الإخوة: كيف تقول (إخوة متحابين)، والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..**﴾ [الحجرات: ١٠]؟ قلت له: الأخوّة ليست كلّها دينيّة. هناك أخوّة دينيّة كما فى الآية: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..**﴾، وكما فى الحديث: «المسلم أخو المسلم..»[2]. ولكن هناك أخوّة قوميّة أو وطنيّة كما قال الله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ ... كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ ... كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ**

---

(١) انظر ما ذكرناه فى كتابنا: (فتاوى معاصرة ٣/١٩٢ وما بعدها).

(٢) جزء من حديث رواه البخارى فى المظالم (٢٤٤٢) ومسلم فى البر والصلة (٢٥٨٠) وأبو داود والترمذى، من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وتتمته «.. لا يظلمه ولا يُسْلِمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

وفى حديث آخر: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله» رواه أحمد بإسناد حسن وكذا قال الهيثمى. (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: برقم ١٣٠٢، ١٣٨٦، ١٥٦٩، ١٧٩٦، ٢١٨٢).

﴿ أَخُوهُمْ صَالِحٌ... ﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١٤٢] أخوهم أى منهم لأنّه من قومهم. ولذلك لمّا لم يكن شعيب من أصحاب الأيكة قال: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ... ﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٧٧] لأنّه لم يكن واحداً منهم، كانوا قومًا غير قومه. إنما كان من مدْين، ولذا قال تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [الأعراف: ٨٥].

فهناك أخوّة قوميّة، وهناك أخوّة وطنيّة. هذه المعايشة وهذا الجوار كوّن نسيجًا واحداً من دينين مختلفين: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦].

● **أسس التسامح مع المخالفين**(١):

هكذا علّمنا الإسلام: مع اختلاف الدين نستطيع أن نتعايش.

حلّ الإسلام هذه القضيّة بإيجاد أساس عقدى وفكرى للتسامح، يقوم هذا الأساس على عدة عناصر:

١ - العنصر الأوّل: أنّ اختلاف النّاس فى أديانهم واقع بمشيئة الله تبارك وتعالى، ومشيئته لا تنفصل عن حكمته، فلله فى ذلك حكمة، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

قال المفسرون: ﴿ وَلِذَٰلِكَ ﴾ أى وللاختلاف خلقهم(٢). لأنه خلقهم وأعطاهم الحرية والإرادة، فإذا أُعطى الإنسان العقل والحرية والإرادة فلا بدّ أن يكون له اتجاه غير اتجاه الآخر، لا بدّ أن يختلف الناس.

فهذا بمشيئة الله، ولا يستطيع أحد أن يعارض مشيئة الله عزّ وجلّ فى كونه.

٢ - العنصر الثانى: أن الناس وإن اختلفوا ما بين مؤمن وكافر، وبر وفاجر،

---

(١) راجع ما ذكرناه فى فتاوى معاصرة (٣/ ١٨٤) تحت عنوان: أساس التسامح الإسلامى، وانظر ذلك بالتفصيل أيضا فى رسالتنا: موقف الإسلام العقدى من اليهود والنصارى ص٦١، طبعة مكتبة وهبة ط ١٩٩٩م.

(٢) وهذا القول هو الذى اختاره ابن جرير الطبرى ورجّحه على القول الآخر وهو: (وللرحمة خلقهم). انظر: (جامع البيان: ١٢/ ١٤١ - ١٤٢).

ومهتد وضال، فإن الحساب بين هؤلاء ليس في هذه الدنيا، إنما الحساب عند الله يوم القيامة، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ [الحج ٦٨، ٦٩]، ﴿ **اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١٥].

٣ – وهناك عنصر ثالث: أن الإسلام يحترم الإنسان من حيث هو إنسان، كل إنسان أيًّا كان دينه، آمن أو كفر، بر أو فجر، له كرامة الإنسان كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ..** ﴾ [الإسراء: ٧٠].

هو من حيث آدميّته مكرم.. من حيث إنسانيته مصون الحرمات، ولهذا روى البخارى فى صحيحه أن النبي ﷺ مرت به جنازة – نعش ميّت – فقام لها واقفا.

فقيل له: إنّها جنازة يهودى. فقال ﷺ: «أليست نفسا؟»[1] بلى. معنى هذا أن لكل نفس فى الإسلام حرمة ومكانة، وإن كانت نفس إنسان يهودى.

٤ – وعنصر رابع: أن الإسلام جاء بالعدل للناس جميعا، عدل الله لكل عباد الله، هذه قضيّة مسلّمة ولا نزاع فيها، الله تعالى يقول: ﴿ **..وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ..** ﴾ [النساء: ٥٨]. ﴿ **بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ وليس بين المسلمين وحدهم فالعدل لكل الناس. ويقول عزّ وجلّ: ﴿ **..وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ..** ﴾ [المائدة: ٨]، أى لا يحملنّكم شدّة عداوة قوم وشدّة بغضهم لكم على أن تظلموهم وعلى ألا تعدلوا بينهم ﴿ **اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾.

نزلت تسع آيات فى سورة النّساء تدافع عن يهودى اتهم ظلمًا بالسرقة، وهمّ النبى ﷺ أن يدافع عن أولئك الذين هم المتهمون الحقيقيون، فقال تعالى: ﴿ **وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ***

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى فى الجنائز (١٣١٢) ومسلم فى الجنائز (٩٦١) عن سهل ابن حُنَيْف وقيس بن سعد.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٧ - ١٠٨].

هذا هو أساس التسامح عند المسلمين.

● **شهادة التاريخ على سماحة المسلمين:**

ومن أجل هذا كان المسلمون مضْرِب المثل فى التسامح. لا يُعرف أمّة تسامحت مع مخالفيها فى الدين كما عُرف عن الأمّة الإسلامية[1]، وهذا ما شهد به المؤرخون المنصفون من الغربيين أنفسهم، شهد بذلك (غوستاف لوبون) فى كتابه (حضارة العرب)، وشهد بذلك (توماس أرنولد) فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام)، وشهد بذلك الكثيرون ممن كتبوا عن المسلمين.

ولسنا فى حاجة إلى شهادتهم، الواقع ينطق بهذا، والتاريخ ينطق بهذا.

حينما غزا التتار دمشق وما حولها، أسروا جماعة من المسلمين ومن النّصارى، وذهب شيخ الإسلام ابن تيميّة إلى قائدهم (قطلوشاه) يطلب منه أن يفك الأسرى عنده، فقال له: يا شيخ إكرامًا لك أفك أسرى أهل ملتك من المسلمين. فقال: لا والله، أهل ذمتنا قبل أهل ملتنا! وأبى إلا أن يفك أسر الجميع، وكان له ما أراد.

وحينما أراد أحد خلفاء بنى عثمان أن يتخلص من بعض أولئك الذين يجلبون عليه المشاغبات من غير المسلمين وقال: نقتل هؤلاء ونستريح منهم، وقف شيخ الإسلام والعلماء من ورائه فى وجهه وقالوا: لا يبيح لك الدين هذا، والله تعالى عصم دماءهم وعصم أموالهم بما لهم من عقد الذمة.

وكلمة (الذّمّة) ليست كما يتصورها بعض الناس كلمة فيها ذمّ أو تنقيص. الذّمّة معناها: العهد. أى لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين: ان تُصان أديانهم وأموالهم وأعراضهم ومعابدهم وشعائرهم وحرماتهم. وهكذا عاشوا طوال التاريخ الإسلامى.

---

(١) انظر فصل (تسامح فريد) من كتاب (غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى) للشيخ القرضاوى، ص (٤٣ - ٥٠)، ط. مؤسسة الرسالة.

OBEIKAN.COM

حتى إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما طُعن وأصبح على فراش الموت كان وصيته: أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذّمّة أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل مِنْ ورائهم، وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم.

وحينما رأى ابن الخطاب رضى الله عنه - وهو يسير ليتفقد أمور الرعية - رجلاً شيخًا من يهود يسأل، قال: فيم تسأل؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسّنّ، فقال: ما أنصفناك إذا أخذنا منك الجزية شابًّا وأهملناك شيخًا. ثمّ قال لخازن بيت ماله: افرضوا له ولضربائه - لأمثاله - من بيت مال المسلمين ما يكفيه، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ..** ﴾ [التوبة: ٦٠] قال: وهذا من مساكين أهل الكتاب.

وبهذا استدلّ بعض العلماء من علماء السلف أن الزكاة يجوز أن تُعطى لفقراء أهل الذّمّة عملاً بما صنعه عمر[١].

هذا ما كان عليه حال المسلمين[٢].

لم يكن هناك بيننا وبين الأقليات المسيحية أو اليهودية أى صراع ولا أى مشاكل. بالعكس، بعضهم تولى الوزارة، وذكر الإمام الماوردى فى كتابه (الأحكام السلطانية): أن وزارة التنفيذ يجوز أن يتولاها أهل الذمة.

ورأينا من هؤلاء من وصل إلى مناصب كبيرة، حتى قال أحد الشعراء الساخرين من مصر:

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية آمالهم وقد ملكوا
المجد فيهم والمال عندهمو ... ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إنى نصحت لكم ... تهودوا، قد تهود الفلك!

أراد هذا الرجل أن يلفت النظر أن اليهود بلغوا حدًّا كبيرًا، فقال لهم:

---

(١) انظر: كتابنا (فقه الزكاة/ ح٢/ ٧٥٢ وما بعدها) طبعة مكتبة وهبة، الطبعة الحادية والعشرون ١٩٩٤م.

(٢) من أراد التوسع فى هذا الموضوع ومعرفة المزيد فليراجع ما كتبه الشيخ القرضاوى عن حقوق أهل الذمة فى الإسلام فى كتابه: (غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى)، ص (٩ - ٣٠). ط. مؤسسة الرسالة بيروت. واتظر: فصل (التسامح الإسلامى) من كتاب المؤلف: تاريخنا المفترى عليه. باب: تاريخ له مفاخر ومآثر. طبعة دار الشروق بالقاهرة.

أفضل طريقة لتصلوا إلى المال والمجد والملك والسلطان أن تكونوا يهوداً: تهودوا قد تهوّد الفلك!

وهذا مبالغة أيضًا فى التنازل عن الحقوق وعن الهويات. ولكن لكى نعرف إلى أى حد وصل هولاء.

وقد رأينا بأعيننا فى مصر اليهود يملكون أكبر المتاجر وأكبر المحلات التجارية المشهورة. مَن منا لا يذكر: شكوريل، وأركو، وسمعان، وصيدناوى، وبنزايون، وداود عدس وغيرهم.

لم يعرف المسلمون باضطهاد الاقليات فى وقت ما، بل ربما يُتهمون بالغفلة أنهم تركوا لهم الأمر، ليصلوا إلى أكثر مما ينبغى أن يصلوا إليه!

وما كانت هناك مشكلات.

● **متى بدأت الفتنة؟**

بدأت المشكلات من عهد الحروب الصليبية، حينما جاءت الجيوش الصليبية – جيوش الفرنجة كما يسميها علماؤنا القدامى – من أوروبا، بقضها وقضيضها، وثالوثها وصليبها، وأحقادها وأطماعها، وأثارت هذه الأمور.

ثم جاء الاستعمار الحديث وكان مما أعلنه: أن من أهدافه الدفاع عن الأقليات المسيحية فى بلاد الشرق!

ولا زال الأمر يظهر ما بين الحين والحين.

والآن تتولى أمريكا كِبْرَ هذا الموضوع، وخصوصًا بعد أن أصبح للّوبى الصهيونى قوته وتأثيره ونفوذه، وأصبح هناك عدد من الوزراء فى حكومة أمريكا الحالية من اليهود، وزراء: الدفاع، والمالية، والخارجيّة، ونائب وزير الخارجيّة لشئون الشرق الأوسط، ومنسّق السلام فى الشرق الأوسط، وكبار الموظفين فى الوزارات المختلفة، ومستشارو الأمن القومى، كلّ هؤلاء يهود.

أصبح هناك تأثير صهيونى كبير على السياسة الأمريكية، ومن أجل هذا بدأت تثير هذه الأمور.

OBEIKAN.COM

● **سياسة الكيل بمكيالين:**

ولا أدرى لماذا لا تثير أمريكا الأمور الأخرى المقابلة؟ لماذا لا تثير قضية البلاد التى يضطهد فيها المسلمون ولا ينالون فيها حقوقهم؟ لماذا لم تثر ضد تركيا العلمانية التى ترفض أن يكون للمسلمين أى تمثيل سياسى؟ لماذا لم تتدخّل فى هذه الأمور؟ لماذا لم تتدخل فى البلاد التى تحرم المسلمين من أدنى حقوقهم حتى تحرّم على المرأة أن تلبس الحجاب الشرعى فى داخل بلاد المسلمين وخارج بلاد المسلمين، كما في فرنسا العلمانية؟ والمفروض أن العلمانية تتخذ موقفًا محايداً من أمور الدين، لا تقبل الدين ولا ترفضه، لا تؤيده ولا تعاديه. أما أن يتُخذ موقف من الدين ويُفرض على المسلمة أن تخالف أمر ربّها وأن تخالف دينها، فهذا ما لا يُقبل.

لماذا سكتت أمريكا عن هذا كلّه؟

لماذا لا تتحدّث عن الأقليات الإسلامية؟ والأقليات الإسلامية أقليات ضخمة، بعضها عشرات الملايين.

المسلمون فى الهند يُعتبرون أقلية وهم أكثر من مائة وخمسين مليونًا! ماذا لهم؟ هل لهم وزراء؟ هل لهم أناس فى السلطة السياسية؟ لا نعرف لهم أحداً يمثلهم.

لماذا لا يذكرون هذا؟

يذكرونه فقط للتشويش على المسلمين.

ما رأينا المسلمين يضطهدون أحداً، لا فى مصر، ولا فى السودان. فى السودان نجد عدداً من الوزراء من المسيحيين فى الجنوب. وأذكر مرة ذهبت إلى ندوة هناك فكان الوزير الذى نجتمع تحت رايته من مسيحيى الجنوب.

لماذا يقال: إنّ السودانيين يضطهدون المسيحيين، والمصريين يضطهدون الأقباط، والماليزيين والأندونيسيين والسعوديين والإيرانيين....؟ هكذا، الآن أصبحت الحملة تشمل السعودية وتشمل إيران وتشمل عدداً من البلدان.

OBEIKAN.COM

هل يريدون أن يغيروا طبيعة هذه البلاد.. أن يسمح للتبشير – أو للتنصير – وأن تفتح له الأبواب على مصاريعها ليغير أديان المسلمين وعقائدهم ونقول لهم: أهلاً ومرحبا؟ هل يسمح أى مجتمع بتغيير دينه بهذه السهولة؟ لا يقبل هذا أحد.

فكيف إذا كان هؤلاء تحوط بهم الشبهات؟ ليسوا دينيين مخلصين، إنهم يمثلون الجهات التى جاؤوا منها، يمثلون مطامعها وأحلامها التوسعية فى بلاد المسلمين.

لماذا لا يتحدثون عن الفلسطينيين الذين يُضطهدون، والذين يُسجنون، والذين يُعتقلون، والذين تُكسر عظامهم، والذين تُهدم بيوتهم، والذين تُحاصر ديارهم، والذين تُصادر أرزاقهم؟

لماذا لا يتحدثون عن هؤلاء؟

إذا كانوا هم حماة العدل كما يزعمون، وأنهم مبعوثو العناية الإلهية فى الأرض، وأنهم موكلون بالحكم على البشرية كلها بعد أن انفردوا بالقوة، فليحموا هؤلاء المستضعفين.

ونقول لهؤلاء: إن كنتم أصحاب قوة فكونوا أصحاب عدل، فإن القوة لا تدوم. العدل إن دام عمَّر، والظلم إن دام دمّر، والله تعالى «يملى للظالم فإذا أخذه لم يُفلته» كما قال النبى ﷺ(١) ثم قرأ: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ [هود: ١٠٢].

إننا نحن المسلمين سنظل مستمسكين بديننا.. بالعروة الوثقى لا انفصام لها، لن نبيع ديننا بملك المشرق والمغرب، لن نفرط فى عقائدنا مهما يكن من الضغط علينا، ومهما يكن من التسلط علينا. الإسلام هو جوهر حياتنا وحقيقة وجودنا، نحن بالإسلام كل شىء، وبغير الإسلام لا شىء، ولذلك سنظل ثابتين على هذا الدين، لا نَحيد عنه، ولا نُفَرط فيه، مهما تكن النتائج والله معنا.

---

(١) متفق عليه كما فى اللؤلؤ والمرجان (١٦٦٨) رواه البخارى فى التفسير (٤٦٨٦) ومسلم فى البر والصلة (٢٥٨٣) والترمذى، عن أبى موسى رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ٢/ ٦١٩ برقم ١٣٠٣).

● **خلّوا بيننا وبين إخوتنا:**

أما إخواننا الذين الذين يعيشون بيننا من المسيحيين، فهم منا ونحن منهم، القاعدة الإسلامية تقول: لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

فارفعوا أيديكم عنهم، وارفعوا أيديكم عنا وعن ديارنا، دعونا نتعايش مع إخواننا. وإذا كان بيننا وبينهم بعض المشكلات فنحن جديرون أن نحلها معا بعيداً عنكم، فى ظل الأخوة الوطنية والقومية، نحن أولى بحل مشاكلنا ولا نحتاج إلى وصاية علينا، فقد بلغنا الأشُدّ، وبلغنا الرُشْد، ولسنا فى حاجة إلى أوصياء.

هذا ما نقوله لأولئك الذين يريدون أن ينصبوا أنفسهم أوصياء على البشرية كلها.

إن عندنا من ديننا ومن عقيدتنا ومن شريعتنا ومن قيمنا ومن تراثنا، ومن مصادرنا: ما يكفينا لأن نسير على الطريق المستقيم، وأن نهتدى سُبُلَنا، والله تعالى يقول: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

■ **الخطبة الثانية:**

● **ذريعة قتل السياح فى بلاد المسلمين:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

قد يقول بعض الناس: أنت تقول: إن المسلمين متسامحون، وإن الإسلام دين التسامح، ولكن ها هى الأحداث تأتى يومًا بعد يوم لتدل على أن المسلمين متعصبون، وهم يقتلون الأجانب والسياح لغير ذنب اقترفوه، ولغير جُرم ارتكبوه. هم جاؤوا إلى بلادكم أيها المسلمون سائحين مستأمنين، فكيف قتلهم هؤلاء الذين يدّعون أنهم مسلمون وأنهم جماعات إسلامية؟

OBEIKAN.COM

ونقول: إن هذه الشريحة الضئيلة من الشباب لا تمثل المسلمين، ولا تمثّل الإسلام.

هم شباب اختلط عليهم الأمر، التبس عليهم الحق بالباطل، فسدت عقولهم. واختل فقههم، ربما لم يكن الفساد فى نياتهم وضمائرهم، ربما كان بعضهم مخلصين، ولكنهم ضلوا الطريق بفساد عقولهم، كما قال النبى ﷺ فى أسلافهم قديما: الخوارج، قال: «يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم» ومع هذا وصفهم بأنهم: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وقال: «يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم»[1]! أى لا يتعمق القرآن فى أعماق عقولهم وقلوبهم، لم يفقهوا القرآن وإن كانوا يتلونه بألسنتهم، ولكنها تلاوة لا تؤثر فى العقول.

فساد هؤلاء فى أفهامهم. فهم ليسوا حجة على الأمة، ولا حجة على الإسلام، بل الإسلام حجة عليهم.

ثمّ إنّ هناك أسبابًا أخرى[2] اختلطت فيها أشياء بأشياء:

اختلط الثأر.. الثأر من الدولة والثأر من النّاس.. اختلط هذا بذاك.

معظم هؤلاء الشباب فى مصر من الصعيد، ونحن نعرف أنّ الصعيد عنده عادات وتقاليد، ويرى الثأر هذا من الكرامة، ولا يمكن أن يحيا الإنسان إذا لم يأخذ ثأره.. إلخ. إنه لا يعد فى الرجال! اختلطت هذه الأمور، وأدخلوها فى الدين وألبسوها لباس الدين.

● **براءة الإسلام من الأعمال الإرهابية:**

ونحن نقول: إنّ الدين من هذا براء.

ما ذنب ذلك السائح الذى جاء من اليابان أو من كوريا أو من سويسرا أو من ألمانيا ليسيح فى مصر؟ ما ذنبه حتى نسفك دمه ونقطع رقبته؟ هَبْ أن بينك وبين الحكومة خلافًا، تُصَفّى خلافك على حساب هذه الأرواح البريئة؟!

---

(١) سبق تخريجه فى ص (١٢).

(٢) انظر (أسباب العنف فى العالم الإسلامى) فى كتاب: (الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد) للشيخ القرضاوى، ص (٢٩٦)، ط. دار الشروق بالقاهرة.

إن الإسلام لم يجز فى حال الحرب الشرعية الرسمية بينه وبين محاربيه من غير المسلمين أن يُقتل إلاّ من يقاتل. لم يُجز قتل امرأة، وأنكر النبى قتل المرأة فى الحرب وقال: «ما كانت هذه لتقاتل»[1]، ونهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ، ونهى عن قطع الأشجار وهدم البناء.

الحرب لمن يقاتل:

وجاء الخلفاء الراشدون فنهوا عن قتل الرهبان فى الصوامع، ونهوا عن قتل الفلاحين فى المزارع.

فكيف استجاز هؤلاء أن يقتلوا هؤلاء ولا ذنب لهم؟

ما ذنب هؤلاء الستين من السياح الذين كانوا فى الأقصر حتى يطلق عليهم الرصاص أو القنابل أو يُقتلوا بالخناجر أو غير ذلك؟ وما ذنب عدد من المصريين أيضًا كانوا معهم؟

إن هذه العمليات لا تمثل الإسلام، ولا تمثل المسلمين، وليس هؤلاء هم الذين يمثلون جمهور الصحوة الإسلامية. هذا فصيل شارد عن الصحوة الإسلامية، وأصبح منعزلاً عن الناس.

إنما الذى يمثل جمهور الصحوة هو جمهور الوسطية الإسلامية، الذين يتعاملون مع الناس بسماحة، ويتعاملون بعدل الإسلام وسماحة الإسلام. هؤلاء هم الذين يمثلون الإسلام بحق[2].

● **الحوار مع جماعات العنف:**

ونحن وإن كنا ننكر على هؤلاء الشباب، وندين عملهم، ونقول إنه ليس من الإسلام ولا يمتّ إلى الإسلام بصلة، ونحن برآء من أى دم يُسفك بغير حق – الإسلام يرعى دم الإنسان بل الحيوان، حتى إن النبى ﷺ يقول عن امرأة تركت

---

(١) قطعة من حديث رباح بن الربيع، وقد تقدم تخريجه فى ص (١٣).

(٢) انظر (معالم تيار الوسطية) فى كتاب الشيخ القرضاوى: (الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد)، ص (٢٥٤ – ٢٧٦)، ط. دار الشروق بالقاهرة.

OBEIKAN.COM

هرة حتى ماتت إنها من أهل النار: «دخلت امرأة النار فى هرّة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»[1]. هرّة! فما بالك بالإنسان المكرّم؟! - نحن وإن كنا ندين هؤلاء وننكر عليهم أشد الإنكار، نطالب بالحوار معهم.

لا بد أن يحاور هؤلاء - مشكلة هؤلاء مشكلة فكرية.. مشكلة فى عقولهم، وسيظل هؤلاء موجودين، فلنحاول أن نعالج المشكلة من جذورها - يحاورهم علماء لا يتهمون بأنهم من علماء السلطة أو من عملاء الشرطة، علماء يثق هؤلاء الشباب بدينهم وعلمهم، ويحاولون أن يردوهم إلى الصراط المستقيم، ويقيموا عليهم الحجة أمام أنفسهم وأمام الناس، وبعد ذلك يُعْلَن الأمر واضحا بيّنا.

أعتقد أن من مصلحة الأوطان، ومصلحة الأمة، ومصلحة الإسلام نفسه، أن نفعل ذلك، حتى نكون على بينة[2] ﴿ ..**لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ..**﴾. [الأنفال: ٤٢].

إن هؤلاء الشباب يسيئون إلى أنفسهم، ويسيئون إلى وطنهم، ويسيئون إلى أمتهم، ويسيئون إلى دينهم، يسيئون إلى الإسلام، يشوهون صورة الدين عند الناس، فيقول الناس: المسلمون وحوش مفترسة والإسلام غُول مفترس.

والإسلام مظلوم، والمسلمون مظلومون، وهؤلاء لا يمثلون إلا أنفسهم.

نسأل الله تعالى أن ينير طريقهم، وأن يهديهم سبلهم، وأن يردهم عن غيهم، وأن يهيىء لهذه الأمة من أمرها رشداً.

* * *

---

(١) رواه البخارى فى بدء الخلق (٣٣١٨) عن ابن عمر ورواه مسلم فى التوبة (٢٦١٩) عن أبى هريرة.

(٢) قد حدثت محاورات مع هؤلاء الشباب بالفعل، انتهت بأن راجعوا أنفسهم، وأصدروا عدداً من الكتب سموها (سلسلة تصحيح المفاهيم) أعلنوا فيها بشجاعة: رجوعهم عن الكثير من آرائهم القديمة، هذا ما فعلته (الجماعة الإسلامية) فى مصر التى يتزعمها روحيا الشيخ عمر عبد الرحمن، السجين فى أمريكا، فك الله أسره.

OBEIKAN.COM